❁ المقاصد الكبرى عند الشيخ عبد الرحمن الثعالبي في تفسيره من خلال الأحاديث النبوية

✍ الدكتور /**عبد المجيد بيرم**

أستاذ محاضر بكلية العلوم الإسلامية

– جامعة الجزائر–

الشيخ الثعالبي - رحمه الله تعالى- كان يمثل في زمانه مرجعية علمية في المجتمع، إذ اتخذ من دروسه وتلقينه للعلم وتفسيره للقرآن الكريم وسيلة تربوية وتعليمية وخطة إصلاحية للنهوض بالأمة، واستنهاض همتها للدفاع عن الحوزة، والوقوف في وجه أطماع الطامعين والمتربصين من الفرنجة؛ وتفسيره للقرآن المسمى بـ: "الجواهر الحسان"، أبرز فيه هذا المنحى العلمي التربوي الإصلاحي من خلال البعد الوظيفي الذي قصده وهو يقوم بالبيان لمعاني آي القرآن؛ وما ساقه لذلك من الأحاديث والآثار. ولإجلاء هذه الحقيقة تتبعت الأحاديث النبوية المرفوعة والموقوفة وهي كثيرة في تفسيره - وحاولتُ أن أقف على المقاصد الكبرى التي قصدها الشيخ - رحمه الله تعالى- بسوقه في تفسيره هذه الأحاديث والآثار، ومن ناقلة القول التذكير بأنّ تفسير الشيخ الثعالبي - رحمه الله تعالى - يُصنف في التفسير بالمأثور، إذ أنّ من أقدم الطرق في تفسير القرآن الكريم التفسير بالمآثور؛ فقد صنفت فيه مؤلفات كثيرة من وقت مبكر، اعتمد أصحابها على القرآن في بيان معاني القرآن، ذلك أن ما جاء مجملا في

موضع جاء مفصلا في موضع آخر، وما جاء مقتضيا في مكان جاء مسهبا في مكان آخر ... وهكذا، أو اعتمدوا على ما ثبت وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيان معاني بعض الآيات والسور أو ما تكلم فيه الصحابة رضي الله عنهم، وهم أعلم هذه الأمة بمعاني القرآن ممن جاء بعدهم؛ لما توفر فيهم ما لم يتوفر في غيرهم، أو ما أثر عن كبار التابعين الذين تتلمذوا على الصحابة ونقلوا علمهم.

وكتاب "الجواهر الحسان" للشيخ عبد الرحمن الثعالبي - رحمه الله تعالى- تلخيص لتفسير سابق مع زيادة وهو "المحرر الوجيز" لابن عطية الأندلسي رحمه الله تعالى، والذي يعدّ من أهم المصنفات في التفسير بالمأثور.

وسنحاول في هذا البحث أن نقف على أهم المقاصد التي توخاها الشيخ في إيراده هذه الأحاديث والآثار.

الأغراض في إيراد الشيخ الثعالبي للأحاديث النبوية:

استثمر الشيخ الثعالبي - رحمه الله- هذا المخزون من المرويات في تفسيره لأغراض وظيفية تصب في رسالة العالم في البيان والتعليم والوعظ والنصح، فكان يستغل أدنى مناسبة في الآية لتطعيم معناها بما ورد عن رسول الله ﷺ فجاء مختصره هذا حاويا على جملة كبيرة من الأحاديث.

فتعليقاته تناولت الدعوة إلى الفضائل وصالح الأعمال والترغيب فيها، فتوقف عند الآيات التي تدعو إلى المسارعة إلى الخيرات ليؤكد الدعوة، ويسوق لها الحديث توكيدا للمعنى، فيذكر أثناء تفسيره الترغيب في الخير كالذكر والدعاء وقيام الليل وتدبر القرآن إلى غير ذلك، وأحيانا تستوقفنا تعليقاته لتحذر من التهاون في بعض الواجبات أو الترهيب من بعض السلوكيات والأخلاق السيئة.

كما جعل من مختصره هذا وسيلة لبيان بعض الأحكام الشرعية، وتصحيح بعض الأخطاء التي ذكرت في كتب التفسير، منها كتاب "**المحور الوجيز**"، وبيان الراجح

من المعاني في مثار الاشتباه والاحتمال.

ومن الأغراض التي قصدها الشيخ الثعالبي في تعليقاته في هذا التفسير الدعوة إلى الإصلاح والتزكية والجهاد لإصلاح الوضع في زمانه، كما لم يفوت المناسبة في تعليقاته للدعوة إلى الرفق والإحسان إلى الخلق، بما في ذلك الرفق بالحيوانات، وهي لفتة تستوجب منا وقفة واعتباراً.

هذا ويمكن إجمال الأغراض التي سيقت الأحاديث لها فيما يلي:

أولا: الدعوة إلى الفضائل وصالح الأعمال والترغيب فيها.

ثانيا: الترهيب من بعض الأعمال والتحذير منها.

ثالثا: الدعوة إلى الإصلاح والتزكية والجهاد.

رابعا: التنبيه على بعض الأخطاء، وبيان بعض الأحكام والترجيح في معنى بعض الآيات.

وسنقف – في هذا البحث – على أمثلة مختلفة توضح هذه الأغراض.

أولا: الدعوة إلى الفضائل وصالح الأعمال.

جعل الشيخ الثعالبي – رحمه الله – من هذا التفسير مرتعا خصبا لمريد الآخرة، فساق فيه من الأحاديث ما يرغّب المؤمن في الإقبال على الطاعة والتزام التقوى، فسنقف عند بعض الآيات في هذا المعنى، ثم نثني بذكر الحديث النبوي الذي ساقه لتأكيد هذه الغاية، من ذلك ما ذكره:

عند قوله تعالى:﴿ **فاستبقوا الخيرات** ﴾ - المائدة 48 - ذكر معنى الآية نقلا عن كلام ابن عطية: **والمعنى:** سارعوا بالطاعة والتقوى والتقرب إلى ربكم إلى حال يغفر الله لكم فيها، أعقب ذلك بقوله: 'وحق على من فهم كلام ربه أن يبادر ويسارع إلى ما ندب

إليه ربه، وأن لا يتهاون بترك الفضائل الواردة في الشرع"[1].

ثم نقل كلام الإمام النووي –رحمه الله – في هذا المعنى: اعلم أنه ينبغي لمن بلغه شيء من فضائل الأعمال أن يعمل به، ولو مرة ليكون من أهله، ولا ينبغي أن يتركه جملة، بل يأتي بما تيسر منه، لقوله النبي ﷺ في الحديث المتفق على صحته: "وإذا أمرتكم بشيء فافعلوا منه ما استطعتم".

وعند قوله تعالى: ﴿**أفلا يتدبرون القرآن**﴾ - النساء 82 - بعدما نقل معنى الآية من تفسير ابن عطية قال: 'اعلم رحمك الله تعالى أن تدبر القرآن كفيل لصاحبه بكل خير، وأما الهذرمة والعجلة فتأثيرها في القلب ضعيف'، ثم نقل عن النووي قوله: 'وقد كره جماعة من المتقدمين الختم في يوم وليلة، ويدل عليه ما رويناه بالأسانيد الصحيحة في سنن أبي داود والترميذي والنسائي، وغيرها عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ : 'لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث'[2].

وعند قوله تعالى: ﴿ **ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون** ﴾ - آل عمران 113 -.

أورد جملة من الأحاديث فيها الترغيب بقيام الليل، من ذلك ما أخرجه الجماعة: 'ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟ وحديث: 'أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن' رواه أبو داود والترميذي والنسائي والحاكم في المستدرك، واللفظ للترميذي، وقال حسن صحيح.

وحديث أبي أمامة قلت: يا رسول الله أي الدعاء أسمع؟، قال: 'جوف الليل، ودبر الصلوات المكتوبات'، رواه الترمذي والنسائي، وقال الترمذي: حديث حسن[3].

وعند قوله تعالى: ﴿**وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا**

دعان ﴾ - البقرة 186 - أورد ثمانية أحاديث: بعضها في الترغيب في الدعاء مطلقا، وأخرى في بيان أن الدعاء يرد القضاء، وما جاء في الحث على الدعاء عند الرخاء.

وقد أكثر الشيخ الثعالبي في بيان فضل الأذكار، حتى كاد أن يكون هذا الغرض هو الغرض الأهم في جميع تفسيره، وقد قال في موضع من كتابه: 'وقد كتبنا والحمد لله في هذا المختصر جملة صالحة في فضل الأذكار، عسى الله أن ينفع به من وقع بيده'[4].

فقد كان الشيخ الثعالبي يستغل أدنى مناسبة في تفسيره للتوجيه والإرشاد والدعوة إلى الأخلاق الفاضلة، والتحذير من مساوئها كالشحناء والعداوة.

فعند قوله تعالى: ﴿ **فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء..** ﴾ - المائدة 14 -، ذكر معنى الآية نقلا عن ابن عطية، ثم قال: 'اعلم رحمك الله أنه قد جاءت آثار صحيحة في ذم الشحناء والتباغض والهجران لغير موجب شرعي، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: 'تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئا إلا رجلا كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: أنظروا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا'، ثم أورد أحاديث أخرى في هذا الموضوع[5].

ثانيا: الترهيب من بعض الأعمال والتحذير منها

ومن الأغراض التي قصدها الشيخ عبد الرحمن الثعالبي في تفسيره في إيراده بعض الأحاديث: الترهيب مما جاء في القرآن النهي عنه، أو ترك أداء الواجبات والتحذير من الإخلال بها، من ذلك ما أورده عند قوله تعالى: ﴿**ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم، بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة** ﴾ - آل عمران 180 -، فأورد حديثا أخرجه البخاري عنه ﷺ أنه قال: 'من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة، يأخذ

بلهزمتيه (يعني شدقيه) يقول أنا مالك أنا كترك، ثم تلا الآية: ﴿**ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله**﴾ الآية'.

ثم قال: "واعلم أنه قد وردت آثار صحيحة بتعذيب العصاة بنوع ما عصوا به، كحديث: 'من قتل نفسه بحديدة فهو يجأ نفسه بحديدته في نار جهنم ..' ونحو ذلك"[6].

كان الشيخ الثعالبي يستغل أدنى مناسبة لبيان بعض الأحكام ولو لم تسق أصالة بل بالتبع، أو تعليم بعض الأدعية، فعند قوله تعالى في سورة الفرقان: ﴿**وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق..**﴾ - الآية 7 -.

نقل عن ابن العربي في أحكام القرآن كراهة دخول الأسواق لأهل الفضل المقتدى بهم في الدّين، تنزيها لهم عن البقاع التي يعصى الله تعالى فيها، ثم أورد حديثا عن عمر بن الخطاب أن رسول الله قال: 'من دخل السوق فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير، وهو على كل شيء قدير، كتب الله له ألف ألف حسنة، ومحا عنه ألف ألف سيئة، ورفع له ألف ألف درجة' رواه الترمذي وابن ماجة، وهذا لفظ الترمذي، ورواه الحاكم في المستدرك من عدة طرق[7].

والذي نسجله في هذا الموضع أن الآية لم تسق لبيان آداب السوق أو للأدعية التي تقال عند دخولها، لكن الشيخ الثعالبي – رحمه الله تعالى – بعدما ذكر حكم دخول السوق لصنف من الناس، أتبعه بذكر دعاء نبوي يقال عند دخوله لينال المسلم بذلك الأجر والثواب، ولا يحرم نفسه من الخير الكثير.

فهذه اللفتة تعكس صورة واضحة في مدى استثمار الشيخ معاني الكتاب العزيز في إعطائها بعدا وظيفيا يستفيد منه المؤمنون.

ومن ملح تعليقات الشيخ الثعالبي في جواهره: دعوته الصريحة إلى الرفق بالحيوان، ودعّم هذه الدعوة بما ثبت في الأحاديث النبوية.

فعند قوله تعالى: ﴿**والأنعام خلقها لكم، فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون، ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون، وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس، إن ربكم لرءوف رحيم**﴾ - النحل 5، 7 -.

قال رحمه الله تعالى: "ويجب على من ملّكه الله شيئا من هذا الحيوان أن يرفق به، ويشكر الله تعالى على هذه النعمة التي خوله، وقد روى مالك في الموطأ بسنده يرفعه قال: 'إن الله رفيق يحب الرفق ويرضاه ويعين عليه ما لا يعين على العنف، فإذا ركبتم هذه الدواب العجم فأنزلوها منازلها، فإن كانت الأرض جدبة فانجوا عليها بنقيها، وعليكم بسير الليل، فإن الأرض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار، وإياكم والتعريس على الطريق، فإنها طرق الدواب ومأوى الحيات'، قال ابن عبد البر: هذا الحديث يسند إلى النبي ﷺ من وجوه كثيرة.

ثم قال: فأما الرفق فمحمود في كل شيء، وما كان الرفق في شيء إلا زانه، وقد روى مالك بسنده عن عائشة عن النبي ﷺ قال: 'إن الله عز وجل يحب الرفق في الأمر كله'.

وأمر المسافر في الخصب بأن يمشي رويدا، ويكثر النزول لترعى دابته، فأما الأرض الجذبة فالسنة للمسافر أن يسرع السير ليخرج عنها[8].

وأكد الدعوة إلى الرفق بالحيوان والإحسان إليه في موضع آخر من التفسير، وساق أحاديث أخر غير التي سبق إيرادها.

وهذا عند قوله تعالى في سورة الزخرف: ﴿ **سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون**﴾ - الآية 13 -.

قال: "وينبغي لمن ملكه الله شيئا من هذا الحيوان أن يرفق به، ويحسن إليه، لينال بذلك رضا الله تعالى"، ثم نقل كلام القشيري في التحبير: 'وينبغي للعبد أن يكون معظما لربه، نفاعا لخلقه، خيرا في قومه، مشفقا على عباده، فإن رأس المعرفة تعظيم

أمر الله سبحانه، والشفقة على خلق الله'اهـ.

ثم أورد الشيخ الثعالبي حديثا من الموطأ وهو قوله ﷺ: " بينما رجل يمشي بطريق إذ اشتد عليه العطش فوجد بئرا فنزل فيها فشرب، فخرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي بلغ مني فنزل البئر فملأ خفه ثم أمسكه بفيه حتى رقى، فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له، فقالوا: يا رسول الله وإن لنا في البهائم أجرا؟، فقال: في كل كبد رطبة أجر".

ثم نقل عن ابن عبد البر في التمهيد قوله:'وكذا في الإساءة إلى الحيوان إثم'، ثم أورد حديثا رواه مالك عن نافع عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: "دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلا هي أطعمتها، ولا هي أطلقتها تأكل من خشاش الأرض"[9].

ثم أسند ابن عبد البر حديثا إلى النبي ﷺ أنه: 'دخل حائطا من حيطان الأنصار، فإذا جمل قد أتى فجرجر وذرفت عيناه (الجرجرة: صوت يردده البعير في حنجرته[10]، ومعنى ذرفت عيناه: قطرت دموعهما قطرا ضعيفا[11])، فمسح رسول الله ﷺ سراته وذفراه، فسكن، فقال: من صاحب الجمل؟، فجاء فتى من الأنصار فقال: هو لي يا رسول الله فقال: أما تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله، إنه شكا إلي أنك تجيعه وتدئبه'. (والسراة: الظهر، والذفرى: ما وراء الأذنين).

ثالثا: الدعوة إلى التزكية والإصلاح والجهاد

لقد جعل الشيخ الثعالبي – رحمه الله تعالى – من تفسيره بستانا للمريدين، فكان يتوقف عند آيات معينة ويدعو من خلالها إلى الارتقاء إلى مصاف الطهر والصلاح، وقد أكثر من إيراد كلام أئمة السلوك كالغزالي – رحمه الله تعالى – والمحاسبي – رحمه الله – وغيرهم، كما أنه لم يغفل أن يدعو إلى الزهد والترفع عن الدنيا، لأن: **'حبها رأس كل خطيئة'**، قال في تفسيره: "وقد جاءت أحاديث كثيرة في التزهيد في

الدنيا، ذكرنا من صحيحها وحسنها في هذا المختصر جملة صالحة لا توجد في غيره من التفاسير، فعليك بتحصيله، فتطلع فيه على جواهر نفيسة لا توجد مجموعة في غيره، كما هي بحمد الله حاصلة فيه"[12].

ولم يمنعه هذا من أن يوجه دعوة صريحة إلى المرابطة والجهاد، وذلك ببيان فضلهما وأجر الشهيد، من ذلك ما ذكره عند قوله تعالى من سورة آل عمران: ﴿**ورابطو..**﴾ أورد حديث مسلم في صحيحه عن سلمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: 'رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعلمه، وأجرى عليه رزقه، وأمن الفتان'.

كما ذكر أحاديث أخر في هذا المعنى، ثم قال: 'وجاء في فضل الرباط أحاديث كثيرة يطول ذكرها"[13].

وعند قوله تعالى: ﴿**ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات...**﴾ - آل عمران 154 - ذكر الشيخ حديث الترمذي في بيان جزاء الشهيد في الآخرة: 'للشهيد عند الله ست خصال: يغفر له في أول دفعه، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار..'، قال فيه الترمذي: حسن غريب.

كما استغل الشيخ الثعالبي تفسيره للدعوة إلى الذود عن الديار، وبذل المهج في سبيل الدين، فعند قوله تعالى:﴿ **وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير، فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله، وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين** ﴾ - آل عمران 146 -، ذكر معنى الآية نقلا عن المحرر الوجيز، ثم أردف ذلك بقوله: 'واعلم رحمك الله أن أصل الوهن والضعف عن الجهاد ومكافحة العدو هو حب الدنيا وكراهية بذل النفوس لله، وبذل مهجتها للقتل في سبيل الله، ألا ترى إلى حال الصحابة رضي الله عنهم وقلتهم في صدر الإسلام، وكيف فتح الله بهم البلاد، ودان لدينهم العباد، لما بذلوا

لله أنفسهم في الجهاد، وحالنا كما ترى: عدد أهل الإسلام كثير، ونكايتهم في الكفار نزر يسير، وقد روى أبو داود في سننه عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: "يوشك الأمم أن تتداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، فقال قائل: أو من قلة نحن يومئذ؟، قال: بل أنتم كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن، فقال قائل يا رسول الله: وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت"اهـ.

ثم علق الشيخ على هذا الحديث بقوله: 'فانظر رحمك الله: فهل الزمان إلا زماننا بعينه، وتأمل حال ملوكنا، إنما همتهم جمع المال من حرام وحلال، وإعراضهم عن أمر الجهاد، فإنا لله وإنا إليه راجعون على مصاب الإسلام'[14].

رابعا: التنبيه على بعض الأخطاء وبيان بعض الأحكام، والترجيح في معنى بعض الآيات

استدرك الشيخ الثعالبي على ابن عطية في بعض القضايا أوردها في تفسيره **'المحرر الوجيز'**، بعضها يتعلق ببيان معاني الآيات، أو في تعقبه على إيراد بعض الأحاديث التي لم تسلم من كلام، أو في ذكر وقائع لم تثبت، أو أنه يضبط تاريخها، من ذلك:

ما ذكره ابن عطية في سبب نزول قوله عز وجل: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء**﴾ - سورة الممتحنة 1 -

قال ابن عطية: 'المراد هاهنا كفار قريش، وسبب نزول هذه الآية حاطب بن أبي بلتعة، وذلك أن النبي ﷺ أراد الخروج إلى مكة عام الحديبية'.

تعقبه الشيخ الثعالبي بقوله: 'بل عام فتح مكة، فكتب حاطب إلى قوم من كفار قريش يخبرهم بقصد رسول الله ﷺ، ولم يكن ذلك منه ارتدادا، فنزل الوحي مخبرا بما صنع

حاطب، ثم ساق الواقعة بتفاصيلها كما وردت في كتب السير"[15].

وأحيانا يورد الحديث ليبين عموم ما يستفاد من الآية كما في قوله تعالى: ﴿**لا تضار والدة بولدها، ولا مولود له بولده**﴾ – البقرة 233 -، عقب على قول ابن عطية في قوله: 'ووجوه الضرر لا تنحصر، وكل ما ذكر منها في التفاسير فهو مثال"[16].

ثم ذكر حديث: 'لا ضرر ولا ضرار'، رواه مالك في الموطأ مرسلا، ونقل عن النووي حكم الحديث بأنه حسن[17].

ومن الأغراض التي سيقت الأحاديث لها – في تفسير الشيخ الثعالبي – ترجيح معنى من المعاني التي تحتملها دلالة الآية، فيسوق الحديث في ترجيح ذلك المعنى الذي اختاره، من ذلك ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿**ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت، والملائكة باسطو أيديهم، أخرجوا أنفسكم...**﴾ - الأنعام 93 -، فنقل عن ابن عطية معنيين في قوله تعالى: (أخرجوا أنفسكم): حكاية لما تقوله الملائكة، والتقدير: يقولون لهم أخرجوا أنفسكم، وذلك على جهة الإهانة وإدخال الرعب عليهم.

ويحتمل (أخرجوا أنفسكم) من هذه المصائب والمحن إن كان ما زعمتموه حقا في الدنيا، وفي ذلك توبيخ وتوقيف على سالف فعلهم القبيح"[18].

تعقب الشيخ الثعالبي ابن عطية فيما ذكره من الاحتمال في معنى الآية، وقال: 'التأويل الأول هو الصحيح"[19]، وأورد حديثا أخرجه ابن عبد البر بسنده في التمهيد عن أبي هريرة – رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: 'الميت تحضيره الملائكة، فإذا كان الرجل الصالح قالت: أخرجي أيتها النفس الطيبة، كانت في الجسد الطيب، أخرجي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان.. وإذا كان الرجل السوء وحضرته الملائكة عند موته قالت: أخرجي أيتها النفس الخبيثة، كانت في الجسد الخبيث..' وذكر الحديث.

ومن استدراكاته على ابن عطية في بعض المواطن التي جانب الصواب فيها - في نظر الشيخ الثعالبي – ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿ **إذ أعجبتكم كثرتكم**﴾ - التوبة 25 - قال ابن عطية: 'روي أن النبي ﷺ قال حين رأى جملته اثني عشر ألفا:' لن نغلب اليوم

من قلة'، وروي أن رجلا من أصحابه قالها، فأراد الله تعالى إظهار العجز، فظهر حين فر الناس"[20].

تعقبه الشيخ الثعالبي بقوله: العجب جائز في حق غير النبي ﷺ، وهو معصوم منه ﷺ، والصواب في فهم الحديث أنه خرج مخرج الإخبار، لا على وجه العجب، وعلى فهمه ابن رشد وغيره[21].

وعند قوله تعالى: ﴿**وقال ربكم ادعوني أستجب لكم** ﴾ - غافر 60 - نقل الشيخ الثعالبي عن ابن عطية معنيين لهذه الآية: المعنى الأول: أن الآية تفضل ونعمة من الله ووعد لأمة محمد بالإجابة عند الدعاء.

والمعنى الثاني نقله ابن عطية عن فرقة لم يسمها، معنى (**ادعوني**) اعبدوني، (**أستجب**) معناه بالنصر والثواب، ويدل على هذا المعنى قوله: ﴿**إن الذين يستكبرون عن عبادتي**﴾ الآية.

تعقب الشيخ الثعالبي ذلك بقوله: 'وهذا التأويل غير صحيح، والأول هو الصواب إن شاء الله للحديث الصحيح، وساق حديث النعمان بن بشير عن النبي ﷺ قال: "الدعاء هو العبادة"، وقرأ: ﴿ **وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين**﴾ ، قال: رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة والحاكم وابن حبان في صحيحيهما، وقال الترمذي – واللفظ له -: حديث حسن صحيح، وقال الحاكم: صحيح الإسناد[22].

ومن ذلك أي استدراكاته على ابن عطية ما جاء في بيان الحكم الفقهي في بعض القضايا التي تعرض لها في القرآن الكريم، مع دعم ما ذهب إليه بنصوص حديثية، من ذلك ما جاء في قوله تعالى: (للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله، لا يستطيعون ضربا في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف..) – البقرة 273 -.

قال: "واعلم أن المساواة واجبة، وقد خرج مسلم وأبو داود عن أبي سعيد الخدري قال: بينما نحن في سفر مع النبي ﷺ إذ جاء رجل على راحلة، فجعل يصرف بصره

يمينا وشمالا، فقال النبي ﷺ: 'من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان معه فضل زاد فليعد به على من لا زاد له'، قال: فذكر من أصناف المال ما ذكر، حتى رأينا أنه لا حق لأحد في فضل".اهـ[23]

الخاتمة

بعد هذا التطواف في هذه المقاصد، من خلال الأحاديث النبوية التي جَمَّل بها الشيخ الثعالبي تفسيره، نلخص إلى حقيقة جلية، تبرزُ فيها رسالة العالم ودوره في الأمة، فقد جعل الشيخ الثعالبي – رحمه الله تعالى – من تفسيره وسيلة للنهوض بالأمة علميا وتربويا وجهاديا، وهذا ما أهّله لأن يشكّل مرجعية في زمانه، فرحمه الله رحمة واسعة، وجزاه الله خيرا الجزاء.

قائمة المراجع

1- الإتقان في علوم القرآن السيوطي – تقديم وتعليق د/ مصطفى ديب البُغا، دار الهدى عين مليلة.

2- أسنى المطالب في أحاديث مختلف المراتب لمحمد درويش – المكتبة الأدبية حلب.

3- الآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، السيوطي دار المعرفة الطبعة الثانية 1345 / 1979.

4- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشى تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار المعرفة الطبعة الثانية 1972 بيروت.

5- تفسير أبي السعود، طريقته في العمل بالرواية ومنهجه في توظيف القراءات القرآنية، العربي شاوش. مجلة دار الحديث الحسنية، العدد الخامس 1419 / 1998 المغرب.

6- التأليف في التفسير عند المحدثتي د/ عبد الرزاق هرماس مجلة دار الحديث الحسنية العدد السادس عشر 1420 هـ / 1999 المغرب.

7- الجواهر الحسان في تفسير القرآن عبد الرحمن الثعالبي تحقيق الدكتور عمار الطالبي المؤسسة الوطنية للكتاب / 1981.

8- شجرة النور الزكية في طبقات عائلية لمحمد مخلوف، دار الفكر.

9- الشيخ عبد الرحمن الثعالبي وآراؤه الاعتقادية من خلال الجواهر الحسان في تفسير القرآن عبد الرزاق رحمون رسالة ماجستير كلية أصول الدين - جامعة

الجزائر 2001.

10- علم التفسير د/ محمد حسين الذهبي دار المعارف القاهرة.

11- فتح المغيث شرح ألفية الحديث لشمس الدين السخاوي.

12- الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة محمد على الشوكاني تحقيق عبد الرحمن المعلمي الطبعة الأولى 1380 / 1969.

13- قواعد التحديث جمال الدين القاسمي تحقيق بهجة البيطار مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر.

14- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز القاضي أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي 546 هـ تحقيق المجلس العلمي بفاس وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية لمملكة المغربية 1395 / 1975.

15- مناهل العرفان عبد العظيم الزرقاني دار إحياء التراث العربي بيروت.

16- مناهج في التفسير د/ مصطفى الصاوي الجويني منشأة المعارف الأسكندرية.

الهوامش

1- الجواهر الحسان: 1/ 370.

2- الجواهر الحسان: 1/ 470.

3- الجوهر الحسان: 1/ 300.

4- الجواهر الحسان: 1/ 242.

5- الجواهر الحسان: 1/ 539.

6- الجواهر الحسان: 1/ 399.

7- الجواهر الحسان : 2/ 205.

8- الجواهر الحسان: 2/ 416 – 417.

9- الجواهر الحساب: 4/ 164 – 165.

10- الجواهر الحسان: 5/ 30.

11- المرجع السابق: 4/ 165.

12- 1/ 299.

13- انظر الجواهر الحسان: 1/ 409.

14- الجواهر الحسان: 1/ 379.

15- الجواهر الحسان: 4/ 397.

16- المحرر الوجيز: 2/ 211، الجواهر الحسان: 1/ 218.

17- الجواهر الحسان: 1/ 218.

18- الجواهر الحسان: 1/ 648.

19- المرجع السابق: 1/ 649.

20- الجواهر الحسان: 2/ 162.

21- المرجع السابق: 2/ 162 – 163.

22- الجواهر الحسان: 4/ 106 – 107.

23- الجواهر الحسان: 1/ 260.